المبحث الثاني

المحسنات اللفظية

مدخل إلى المحسنات اللفظية

من العلماء من يسمي هذا الفن البديعي تجنيساً، ومن يسميه مجانساً، ومن يسميه جناساً، أسماء مختلفة والمسمى واحد، وسبب هذا التسمية راجع إلى أنّ حروف ألفاظه يكون تركيبه من جنس واحد[1].

والجناس لغةً: هو مصدر جانس الشيءُ الشيءَ: شاكله واتحد معه في الجنس.

واصطلاحاً: تتشابه اللفظين في النطق مع اختلاف في المعنى، وهذان اللفظان المتشابهان نطقاً، والمختلفان معنى يسميان (ركن الجناس) ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما نُعرف به المجانسة[2].

والجناس عند البلاغيين:

تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم، آية: ٥٥] فقد اتحد لفظ ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ و﴿سَاعَةٍ﴾ نطقاً واختلفا معنى، إذا المراد بالساعة الأولى القيامة، وفي الثانية (المدة الزمنية).

❑ أنواع الجناس:

١- **جناس تام:** وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أمور نوع الحروف، وعددها وهيئتها وترتيبها، وهذا يمثل أفضل أنواع النسق

---

(١) ينظر: الصبغ البديعي: ٣٠٧؛ بحوث منهجية: ٤٠٧.

(٢) ينظر: جنان الجناس: ٣٢-٣٣.

البديعي والترتيب السياقي، إذ كلّ لفظة متناسقة في هيئتها حروفها ترتيبها وعددها مما يعطي جمالاً لفظيّاً وإعجازاً وترتيباً في نسقها وصوتها.

٢- **جناس غير تام**: وهو ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في واحد أو أكثر من الأمور المذكورة، وهو أيضاً يقع فيه جمال الترتيب وجمال النسق، ولكن ليس مثل الأول من حيث التقارب والتماثل.

❑ الجناس التام:

وهذا النوع من الجناس ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام المماثل والمستوفي وجناس التركيب.

أ - **المماثل**: وهو ما اتفقت فيه الكلمتان المتجانستان في نوع الأحرف وعددها وهيئاتها وترتيبها، وكانتا من نوع واحد من أنواع الكلمة سواء أكانا اسمين أو فعلين أو حرفين: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور، آية: ٤٣] فالأبصار الأولى جمع بصر وهو النظر، والثانية جمع البصر وهو العقل، فالكلمتان في كلّ آية اختلفتا معنىً واتفقتا نطقاً في نوع الحروف وعددها وهيآتها وترتيبها، وهما اسمان كما لا يخفى، فنلاحظ هنا كمال الانسجام والنسق والترتيب حتى في أداء المعنى صوتيّاً وسياقياً وهذا من روائع ما يحمله هذا الكتاب العظيم.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾ [الروم، آية: ٥٥] فالجناس بين (الساعة) و(الساعة) وهما اسمان وقد ذكرناهما قبل قليل.

ب- **المستوفي**: وهو ما اتفقت فيه الكلمتان في نوع الأحرف وعددها وهيآتها وترتيبها واختلفا في نوع الكلمة، بأن تكون إحداهما فعلاً والأخرى اسماً أو حرفاً، أو إحداهما اسماً والأخرى حرفاً[1].

ومنها قولهم:

فدارهم ما دُمـــت في دارهـــم وأرضهم ما دُمت في أرضـــهم

فدارهم الأولى فعل أمر من المداراة بمعنى المخاتلة، ودارهم الثاني اسم للبيت، وحيهم الأولى فعل أمر من التحية، وحيهم الثانية هو الحي الاسم.

ج- **جناس التركيب**: وهو ما كان كلّ لفظ من لفظيه مركباً أو أحدهما مركباً. والآخر مفرداً. أو هو ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة، والأخرى مركبة مثال ذلك:

إذا مَلِـــكٌ لم يكـــن ذا هبـــةً فدعـــــه فدولتـــــهُ ذاهبـــــة

فالجناس بين (ذاهبةٍ) وهي كلمة مركبة من (ذا) وهي اسم بمعنى (صاحب) و(هبة) بمعنى (هيبة) وبين (ذاهبة) وهي كلمة مفردة بمعنى: فانية وبائدة وراحلة.

٢- **الجناس غير التام**: هو ما اختلف فيه اللفظان في أحد أو أكثر من الأمور الأربعة المذكورة: وهي: نوع الأحرف وعددها وهيآتها وترتيبها، ويأتي هذا الجناس على أنواع.

أ - **الجناس غير التام**: وهو ما اختلفت فيه الكلمتان في نوع الأحرف[2]، ويشترط ألاّ يقع الاختلاف بأكثر من حرف، فإن كان الحرفان اللذان وقع

---

(١) ينظر: علم البديع: ٢٣٩؛ وبحوث منهجية: ٤١٢.

(٢) ينظر: جنان الجناس: ٤٩.

فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج سمي الجناس جناس مضارعة، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْءَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام، آية: ٢٦] ومنه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل، آية: ٢٢] ومنه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات، آية: ٦-٨].

ب- **الجناس الناقص**: وهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الأحرف، وسمي ناقصاً؛ لأنّ أحد اللفظين ينقص عن الآخر حرفاً أو حرفين، ولا يكون النقصان بأكثر من ذلك ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة، آية: ٣٠] فالجناس وقع بين (الساق والمساق) وقد نقصت من الأولى حرفاً، ولكن هذا الانسجام الصوتي والنسق الترتيب أعطى مدلولاً آخر للكلمة ودلالة جديدة غير معناها التشابهي، إذ الأولى (الساق) المعروفة التي يمشي عليها الإنسان وأما الثانية (المساق) فهي أعطت دلالات عديدة منها السوق للقبر والحساب والبرزخ والجزاء هذه الدلالات أضفت زيادة في بعدها الجمالي ونسقها التعبيري، وهذا من روائع كتاب الله.

ج- **الجناس المحرّف**: وهو ما اختلف فيه اللفظان في هيئات الحروف، أي: في الحركات والسكنات، واتفقا فيما عدا ذلك من نوع الأحرف وعددها وترتيبها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات، آية: ٧٢][1].

د- **جناس القلب**: ويسميه بعضهم (جناس العكس) وهو ما اختلفت فيه الكلمتان في ترتيب الحروف، وهو إما قلب الكل، وذلك إذا جاء أحد

(١) ينظر: علم البديع: ٢٤٨؛ وبحوث منهجية: ٤١٢؛ والبلاغة الميسرة: ٦٥١.

اللفظين عكس الآخر في ترتيب حروفه كلها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه، آية: ٩٤] فالجناس في كلمتي (بيني وبين). وقد اختلفتا في ترتيب الحرفين الأخيرين، وهذا النسق الرائع مع اختلاف ترتيب الحروف لكن لا تجد ثقلاً ولا نفوراً بل على العكس هناك سلاسة في الصوت والأداء. وهذا من روائع الجناس القرآني.

ونجد إنّ بلاغة سياق نسق الجناس هو من خلال التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلاً تامّاً كاملاً أو ناقصاً تطرب له الآذان فتتجاوب مع أصداء تعاطف أبنيتها، وهذا مما يؤكد أهمية الجناس في نسق وإحداث موسيقى داخلية في النص القرآني فضلاً عن النصوص الأدبية الأخرى. وذلك للتواشج والتوافق والترتيب بين سياقات ألفاظه وتناغمها.

وكذلك ما يحدثه من عنصر المفاجأة والدهشة غير المتوقعة في نفسية السامع من خلال التشويق وعدم السآمة والملل من خلال دقة الألفاظ وجمال أسلوبها. وحسن بهائها وروعة صياغتها كلّ ذلك أضفت للنص القرآني إعجازاً فريداً وجديداً من خلال روعة الأساليب والأغراض وتنوعها ودقتها.

❑ السجع:

في اللغة، الكلام المقفى، أو موالاة الكلام على رويّ واحدٍ، وجمعه أسجاع وأساجيع، وهو مأخوذ من سجع الحمام، وسجع الحمام هو هديله وترجيعه لصوته[1].

وفي **اصطلاح البلاغة**: تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرفٍ واحدٍ

(١) ينظر: لسان العرب: مادة (سجع)؛ والإتقان: ٢/٩٧.

أو على حرفين متقاربين أو حروف متقاربة ويقع في الشعر والنثر وحديثنا عن كتاب الله ﷻ.

فمما تواطأت فيه الفواصل على حرف واحد قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ [الطور، آية: ١-٣] ومنه أيضاً: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾ [العاديات، آية: ١-٣].

ومن التواطؤ على حروف متقاربة قوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق، آية: ١-٢] فالدال والباء حرفان متقاربان.

ومنه: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ [ص، آية: ٤-٧].

فالباء والدال والقاف حروف متقاربة، وهذا التقارب في المخارج جعل هناك تناسقاً صوتياً في الألفاظ ودقة العبارات وقوة الأداء مما جعل هناك توافقاً في ترتيب المعاني، وجمالاً في روعة الفاصلة القرآنية.

❑ الفقرة والقرينة والفاصلة:

هذه الكلمات تتردد كثيراً في باب السجع وينبغي أن نعرف المراد بكل منهما:

فالفاصلة: هي الكلمة الأخيرة من الفقرة أو القرينة، والفقرة، أو القرينة

بمعنى واحد وهي الجملة التي تنتهي بالفاصلة[1] فمثلاً قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر، آية: ١-٢] فالفاصلة في كلمة (القمر) في الآية الأولى (ومستمرٌّ) في الآية الثانية، والقرينة أو الفقرة: الآية كلها كلّ آية فقرة أو قرينة، وهذا من خلال الانسجام الصوتي وسياق قرينتها، وجمال نسقها، وترتيبها حتى أنّ القارئ يجدها لحمة واحدة.

❑ أنواع السجع (الفاصلة):

وللسجع أنواع مختلفة بعضها يكون في النثر والشعر، وبعضها يختص بالشعر، وما يهمنا ما يتعلق بالنص القرآني.

١- **المُطَّرف**: وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزناً واتفقت روياً، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح، آية: ١٣-١٤] فوزن (وقاراً) يختلف عن وزن (أطواراً) والروي واحد وهو حرف الراء.

٢- **المرصع**: وهو أن يكون ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثره مثل ما يقابله من الأخرى وزناً وتقفيةً. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار، آية: ١٣-١٤] فالأبرار مثل الفجار ونعيم مثل جحيم وزناً وتقفيةً. ومنه: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾.

---

(١) ينظر: الفاصلة القرآنية: ٤٢.

٣- **المتوازي**: وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان فقط وزناً وتقفيةً، كما في قوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية، آية: ١٣-١٤] فـــ(مرفوعة) و(موضوعة) متفقتان وزناً ورويا[1].

فإن اتفقت الفاصلتان في الوزن دون القافية سمي هذا باسم (الموازنة) كقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية، آية: ١٥-١٦] فلفظتا (مصفوفة ومبثوثة) متفقتان في الوزن لا في القافية، فالأولى على الفاء والثانية على التاء، وهما حرفان متقاربان لا متفقان. وهذا من جميل وروائع التناسق السياقي والصوتي للمفردات في جمالية أداء الفاصلة القرآنية.

ومنه أيضاً: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم، آية: ٨٣-٨٤] فـــ(أزّاً وعدّاً) اتفقتا وزناً واختلفتا قافيةً، فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيهما مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن دون القافية خُصّ باسم المماثلة كقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الصافات، آية: ١١٧-١١٨].

وهذا التناسب والتناسق الرائع لا تجده في كتاب غير كتاب الله؛ إذ التناسق الصوتي والكلمي والسياقي والترتيبي موجود في هذه الفواصل وجميع آيات كتاب الله، وهذا من كمال إعجاز القرآن الكريم.

إنّ من مزايا السجع في النظم الكريم شدة ارتباط الفاصلة وتماسكها بما

---

(١) ينظر: علم البديع: ٢٥٣؛ والفاصلة القرآنية: ٢٨١؛ والبيان في تناسب سور القرآن: ٢٨١.

قبلها من الكلام بحيث تنحدر على الأسماع انحداراً، وكأنّ ما سبقها لم يكن إلاّ تمهيداً لها بحيث لو حذفت لاختل معنى الكلام، ولو سكت عنها لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياقاً مع الطبع والذوق السليم، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ [النجم، آية: ١٩-٢٢] نجد إنّ كلمة (ضيزى) الواقعة في الفاصلة تتماسك مع المعنى وتنحدر على الأسماع وتنساق مع السياق انسياقاً تامّاً، وهي لفظة غريبة؛ ولكنَّ غرابتها من أشد الأشياء ملاءمة لغرابة تلك القسمة التي أنكرها النظم الكريم، وذلك هو شأن الفواصل في جميع آي الذكر الحكيم. وهذا من روائع النسق في سياق الفاصلة القرآنية وهو من إعجاز القرآن الكريم الصوتي الذي يأخذ بالألباب ويبعث الطمأنينة في نفس المتلقي. وهو من روائع النسق القرآني.